


اسم المادة: وقفات مع سورة ق (١)

من سلسلة: آيات تتلى

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: وقفات مع سورة ق (١)
من سلسلة: آيات تتلى
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، أهلاً بكم أعزائي المشاهدين في هذا البرنامج؛ برنامج آيات تتلى مع موقع الطريق إلى الله، حقيقةً جزاهم الله خيراً موقع الطريق إلى الله في انتقاء هذه الفكرة؛ فكرة آيات تتلى، لأن الناس يسمعون كثيراً بعض الآيات، ولا سيما الآيات التي خصها الشرع بكثرة التلاوة، سواء تتلى في الصلاة أو الإنسان يتلوها مع نفسه قبل نومه، كثرة تلاوة الآيات، طالما أن الشرع خص هذه الآيات بكثرة تلاوتها لابد أن فيها معنى ينبغي أن يكرر ولا سيما على عموم الناس، فكان بفضل الله برنامج آيات تتلى لمواسم متعددة، وهذا العام مع أخي فضيلة الشيخ عمرو الشرقاوي، هو هيكون إن شاء الله معكم في سورة السجدة، وأنا بإذن الله –سبحانه وتعالى– معكم في سورة ق.

نبدأ بإذن الله –سبحانه وتعالى– هذه السورة العظيمة، سورة ق. وحقيقةً قبل أن أبدأ معكم في هذه السورة من الكتب اللي استفدت منها كثيراً في تحضير هذا المجلس، كتاب مجالس القرآن الجزء التاني للدكتور فريد الأنصاري –رحمه الله–، أنصحكم بقراءته، ولا تكتفوا أبداً بسماع، يعني دايماً اللي يريد إن هو يتعمق في فهم كتاب الله لا يكتفي بكتاب ولا بدرس، فلابد أن ينهل كما روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وعن ابن مسعود: "منهومان لا يشبعان طالب علمٍ وطالب مال".

سورة ق؛ تعالوا نبدأ نعيش مع الأول جو سورة ق واهتمام النبي –صلى الله عليه وسلم– بهذه السورة، وبالتالي طالما أن لما النبي –صلى الله عليه وسلم– اهتم بالسورة دي حصل اهتمام مجتمعي بهذه السورة، والمعنى ده كنت ذكرته لما تحب تعرف خواص سورة معينة، فيه كتب معينة لخواص السور، كنت دايماً بنصحكم بكتاب خواص القرآن الكريم، أنا مش فاكر المؤلف كان الهويمل تقريباً طبعة دار ابن الجوزي، فحاولوا برضه لما تيجي تعيش سورة، افتح الأول شوف هل فيها خصائص معينة؟

كنت شرحت لكم كيف نكتشف الخواص؟

اكتشاف خواص السورة، إما بالآثار الواردة أو بتدبر اللي بنسميها الفرائد، يعني إيه الفرائد؟ يعني السورة دي جت فيها قصة ماجاتش غير في السورة دي مثلاً أو لفظ لم يأتِ إلا في هذه السورة، أو طريقة بيان لم تأتِ إلا في هذه السورة، فبالتالي بتتبع مثل هذه الأمور أو لفظ تكرر أو اسم من أسماء الله لم يأتِ إلا في هذه السورة، الفرائد دي بتعرفنا خصائص هذه السورة.

طيب تعالوا بقى نعيش كده مع خواص سورة ق سواء الأثرية أو التدبرية ومع الجو اللي بتعلمنا فيه سورة ق عشان نعرف هي بتعالج إيه.





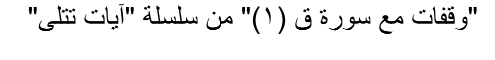
## خواص سورة ق الأثرية

خواص السورة الأثرية

– أول حاجة كان فيه اهتمام عظيم من النبي –صلى الله عليه وسلم– بسورة ق ولا سيما –وركزوا في المعنى ده– في المجامع الكبار، يعني إيه في المجامع الكبار؟ يعني المجامع الكبار عندنا إيه؟ أكبر مجامع عندنا، عندنا العيد، عندنا خطبة الجمعة، عندنا الصلوات، النبي –صلى الله عليه وسلم– قرأ ق في العيد وقرأ ق في خطبة الجمعة وقرأ ق في صلاة الصبح، انت متخيل؟ وفي كل مرة كان بيقرأ فيها ق كان بيلفت انتباه الناس، تيجي حد يسأل، هو النبي –صلى الله عليه وسلم– قرأ إيه في العيد؟ يقول له بـــ ق في الركعة الأولى واقتربت الساعة في الركعة الثانية، أم هشام بنت حارثة حفظت –انت متخيل– حفظت سورة ق من كثرة ما النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقرأها على المنبر وكانت بتقول إن بيتهم كان جنب منبر النبي –صلى الله عليه وسلم–، فكانت بتسمع كثرة قراءة سورة ق من النبي –صلى الله عليه وسلم– فحفظتها، انت متخيل يعني إيه تتكرر على مسامعها سورة ق على المنبر، لدرجة إن هي تحفظ السورة؟ أيضاً إن بعض الصحابة أظن كان اسمه قطبة بن مالك كان رايح يصلي صلاة الصبح مع النبي –صلى الله عليه وسلم– وأثر فيه حتى كان بيسأل على كلمة "وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ"، وشوف التفات الصحابة وطبعاً ده المشهد الكوني اللي هو بيشوفه وأثر فيه، عشان كده كتير يقول لك إيه؟ سورة ق تقرأ في المجامع الكبار. يبقى إذاً واضح إن فيه معنى مهم إنه يُبَث في المجامع، يعني لو قدر إن واحد يدي كلمة في الحج مثلاً جمع له عدد كبير من الناس، ناس غير مسلمين أصلاً، إيه المعاني المحورية اللي لازم يوصلها؟ من هذه المعاني؛ المعاني اللي في سورة ق. طيب، يبقى ده الاهتمام الأثري مع النبي –صلى الله عليه وسلم– لذلك ومن العجيب أوي النبي كان بيقرأ سورة ق على المنبر وكان يُذَكِّر المسلمين بسورة ق وفي ختام السورة قال له ربنا –سبحانه وتعالى– في نفس السورة: "فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ" فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يذكر بالقرآن عموماً وبـ ق خصوصاً.

طيب موطن السورة وموضع السورة مميز في إيه في ترتيب المصحف؟ النبي –صلى الله عليه وسلم– حديث مشهور لواثلة بن الأسقع إن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "أُعطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، وأُعطِيتُ مكانَ الزَّبورِ المئين، وأُعطِيتُ مكانَ الإنجيلِ المثانيَ، –وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– في لفظة بتخلي الإنسان لو مقتنع باللفظة دي إن هو ينتفض بحثاً عنها، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– وفُضِّلتُ بالمُفصَّلِ"[1] إيه ده؟ المفصل في القرآن فضل به النبي –صلى الله عليه وسلم– على كل الكتب السابقة؟ يعني فيه معنى محوري موجود في سور المفصل المعنى ده هو اللي بيعمل التغيير، لذلك أمنا عائشة قالت: "أول ما نزل من القرآن المفصل"، يبقى فيه اهتمام، سعيد بن جبير يروح يسأل بن عباس –من تلامذة ابن عباس– يقول له: أنتم كنتم بتسموا المفصل ده إيه؟ قال كنا نسميه المُحكَم، طبعاً المحكم لها معاني كتير لقلة النسخ في الآيات، الأحكام اللي فيه ثابتة بتتكلم على معاني عقدية ثابتة، وأيضاً لو وسعنا المعنى اللفظي للمحكم إن بيُحْكَّم دين الإنسان باهتمامه بهذه المعاني، ويظل دين الإنسان في حالة من إن هو دين أجوف لو هو لم يُحكم مثل هذه المعاني، فإذاً دين الإنسان لما يُبنى على هذه المعاني من البداية يكون دين محكم، بناء دين الإنسان أولاً ودين الناس على معاني خاوية من التي ذكرت في المفصل ده ليس بناءً محكماً، ده بينهار مع أي ابتلاءات مع المشاكل، وتجد بقى صور الإلحاد النفسي وإلحاد اللامبالاة اللي بتظهر بسبب إن مفيش بناء محكم.

[1] صححه الألباني







طب أنا ليه بتكلم عن المفصل لأن سورة ق اللي احنا بنتكلم عنها النهاردة إن شاء الله هي –على قول طبعاً كتير من العلماء– هي دي أول سورة في المفصل، يعني عايزك تتخيل كده، انت بتقرأ بتختم خاتمتك بقى في رمضان وبتقرأ بقى البقرة، وطبعاً كان بعض التابعين يروح يسأل الصحابة حديث أوس بن حذيفة الثقفي قال: كيف كنتم تحزبون القرآن؟ يعني أنتم كنتم بتقرأوا القرآن في سبع أيام، بتقسموها إزاي؟ يعني أنا عايز أختم القرآن في أسبوع، قال ثلاثة وخمسة وسبعة دي سور، تلاتة وخمسة وسبعة وتسعة وحداشر وتلاتاشر، قال والمفصل، يعني هو بيقسمه كده إن البقرة وآل عمران والنساء دول تلاتة، وبعدكده خمسة بياخد مثلاً من المائدة لغاية التوبة، وبعدكده ياخد من يونس للنحل، ومن سبحان للفرقان، ومن الشعراء لـ يس، عشان تحفظها من سبحان للفرقان ومن أولها الشعراء وآخرها وما علمناه الشعر اللي هي يس، وبعدكده بياخد من الصافات لغاية الحجرات، زي ما قلنا سبحان والفرقان، الصافات والحجرات، وبعدكده ق ده المفصل، كانوا ده وردهم، يعني ده كان غالب الصحابة لما يحب يختم كان بيختم كده، فكانوا بيسيبوا المفصل ده لوحده، يعني ده بيعتبروه جزء على بعضه، يبقى النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "فُضِّلتُ بالمُفصَّلِ"، أمنا عائشة قالت: "أول ما نزل من القرآن المفصل" وابن عباس بيسميه المحكم وكانوا بيعملوه ورد لوحده، إيه ده؟ ده واضح إن المفصل ده طاقة تغييرية مهولة.

لذلك اختلفوا يعني إيه المفصل؟ أشهر الأقوال إن كثرة الفواصل بين الآيات، طب إيه الفكرة في كثرة الفواصل؟ كثرة الفواصل بين الآيات تمنع القلب إن هو يتشتت، الآيات الطويلة ممكن واحد يسرح، فانت لما تحب تخاطب واحد في بداية الخطاب القرآني وبداية الخطاب الدعوي العام، انت محتاج تعمل حالة من إنك انت تخطفه، الكلام يؤثر فيه، ما يحصلوش حالة من الشتات، يعني لما يستقر الدين ويقبل ويستسلم لأحكام الشريعة ممكن بقى تديله آيات الولاء والبراء الطويلة وآية الدين في سورة البقرة، ممكن يسمع آيات المعاملات، لكن هو محتاج هذا الخطاب أولاً.

يبقى بداية ق، تخيل بقى انت بتقرا وبتقرا بسرعة وبدأت تقرب من المفصل، كأن دقات قلبك هتتزايد، هتوصل بقى لما فُضِّلَ به النبي –صلى الله عليه وسلم– للمحكم، للطاقة التغييرية المهولة، انت داخل على إيه؟ انت داخل بقى على طاقة جديدة، فانت داخل على المفصل، فالمفروض اللي بيختم القرآن أو يُفَضَّل للي داخل يختم القرآن أول ما يقرب من ق هو هنا محتاج تعامل مختلف، وكان بعض الناس حاول إنه يدور التقسيمة اللي النبي قالها –صلى الله عليه وسلم– اللي مكان التوراة واللي مكان الإنجيل واللي مكان الزابور وبعدكده فُضِّلت بالمفصل كان بيحاول يدور إن أكيد فيه معنى محوري في كل التقسيمات دي وفيه معنى محوري في المفصل.

المهم ده كان الجو الترتيبي لسورة ق الجو الأثري، طب الجو بقى الداخلي للسورة؟ هنفاجأ إن السورة من بدايات الحرف الواحد القوي، ق، أنا عايزكم يا جماعة تتخيلوا دايماً، لحظة سماع الكفار للقرآن اللحظة الأولى، تخيل كده لما النبي –صلى الله عليه وسلم– فجأة يقف في وسط الناس، القارعة! في إيه؟ إيه اللي حصل؟ الحاقة، تخيل لما النبي –صلى الله عليه وسلم– فجأة يقول لهم إيه؟ "ق –إيه– وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ"، لحظة التلقي الأولى القرآن له زي تعبير مقالة إبراهيم السكران –كنت فصلت ده في درس في مميزات الخطاب القرآني– سطوة القرآن، القرآن له سطوة، إنه يحاصر النفس البشرية. طيب، لما نيجي نشوف جو السورة، هنفاجأ، وده حاجة أنا نفسي المرة دي مع إن بفضل الله اتكلمت عن سورة ق أكتر من مرة، المرة دي أنا فوجئت إن فيه قول بدأت به السورة للكفار، وطول السورة حملة قوية عجيبة من القرآن لهدم هذه المقولة، إن احنا عندنا يا جماعة في الإسلام أسس لا نسمح المساس بها، ولو حد فكر يمس هذه الأسس يُشن عليه هجمة قرآنية قوية، منها التوحيد ومنها إنكار البعث، قضية الدار الآخرة، النقاط دي لما بتُمَس؛ القرآن بيهجم هجوم قوي جداً وينسف هذا الخطاب، لذلك هم بدأوا جو السورة –عشان نلاحظ– جو استهزائي من البعث، جو مليء بالطغاة يعني السورة هنا فيها جو إن مش بس الكفار عاديين لا، قال ربنا: مَا أَطْغَيْتُهُ، كَفَّارٍ، مُعْتَدٍ، عَنِيدٍ، مُرِيبٍ، كل دي ألفاظ وردت في السورة، أصحاب الرس غريبة قوي وأنا بقرأ أصحاب الرس، والخلاف المشهور فيها إن هم سُمُّوا أصحاب الرس إنه جابوا النبي بتاعهم ورموه في البير وردموه عليه، وفوجئت إن هي ذكرت في سورة الفرقان وسورة





ق، يعني الجو العتوي ده مجموعة الأقوام المتتالية دي ماجاتش في سورة وراء بعض غير في سورة ق، يعني قوم تُبَّع تلاقيها جت في الدخان وق، أصحاب الرس في الفرقان وق، الرصة اللي ورا بعض اللي في آخر الصفحة الأولى دي ماجاتش غير في سورة ق، ففيه مميزات في سورة ق تعرفنا إن هي بتخاطب ناس في حالة من الطغاة، بيطعنوا في جو إعلامي معمول، والسورة هنا جو دفاع عن العقيدة الإسلامية، ولا سيما أهم ركن، عقيدة البعث.

نبدأ بقى مع بعض السورة، تبدأ السورة، وزي ما بقول لك حاول تعيش كأنك بتسمعها لأول مرة. ق، انت تلاقيك وقفت، برغم إن ق مش آية على فكرة، يعني ق مش محطوط جنبها آية في العد بتاعنا، لكن انت تلاقيك وقفت لدرجة إن بعض الناس قال ق معناها إنك تتوقف، واختلفوا، إيه معنى ق؟ وطبعاً ده أنا كنت فصلتها في أول سورة الأعراف، الخلاف في الحروف المقطعة، هل دي مجرد تحدي؟ هل ده قسم؟ هل لها معاني تفهم من سياقتها القرآنية زي ص، وفيها اختصام؟ ولقوا إن فيه خصام واختصام كتير في سورة ص، هل ق والتوقف إنه يتوقف عن الحياة ويفكر في البعث، لأن هنفاجأ إن سورة ق بتعالج معنى –هنجيله إن شاء الله– مسألة الريبة والشك، يعني سورة ق يا جماعة اللي يعيش معاها واحد عايش في شك وغفلة وسكرة وارتياب، السورة بتيجي تهزه كده وتفوقه وتطلعه من الحالة دي لحالة اليقين، وبدايتها فعلاً بدايتها كحزب لوحده؛ حزب المفصل فعلاً نزع للغطاء، "فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ"، "لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا"، هم من الأول بادئين ألفاظ –هتلاحظ في السورة– ألفاظ الريبة، ألفاظ اللبس، ألفاظ المَرَجْ، مريج اللي هو الاختلاط، حالة من التردد واللبس واختلاط الأمور، السورة بتنفي ده، السورة جاية تعالج إن فيه قضايا ما عندناش فيها لبس، مفيش فيها إيه؟ والله أصل جايز والحق والحياد، الخطاب ده مش قرآني، فكرة أصل فيه قضايا أنا ماينفعش أطرحها بوثوقية، أصل هذه تسمى دوغمائية، لو انت لازم تعتبر إن رأيك لا لا لا، فيه قضايا عندنا في الدين، مفيش فيها الكلام ده، فيه قضايا زي التوحيد والدار الآخرة، لا يسمح بها بمثل هذا، والمنهزم نفسياً اللي بيقدم خطاب التوحيد وخطاب الدار الآخرة، بهذا التردد ده في قضايا فروعية، في قضايا نقاشية، في قضايا مفيش فيها أدلة قطعية، في قضايا فيها أدلة ظنية، ده ممكن، لكن لما نيجي نتكلم يُطرح أصل الدين على إنه فيه تردد، لا، فبالتالي هم في أمرٍ مريج، هم في لبس، هم مريب، ده أوصافهم هم، لكن أوصاف القرآن اللي بيسير مع الخطاب القرآني هو في قمة اليقين.

ق من أول لحظة ويقسم الله –سبحانه وتعالى– أن المجد لهذا القرآن، ولمن سار مع هذا القرآن، "إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ –زي آخر القصص– لَرَادُّكَ"، زي ما التزامك بالقرآن خرجك من مكة، التزامك بالقرآن هيرجعك تاني مكة منتصراً.
فإذا كان ق نزلت في وقت فيه استضعاف وشدة فالمجد لهذا القرآن، إزاي؟ خطاب القرآن كان بييجي يا جماعة إيه ده؟ ده احنا مستضعفين؟ ده احنا مشردين، أين هذا المجد؟ الفكرة كلها، "وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ" القصص:٨٠، اللي عندهم العلم ما بينبهروش بزخرف قارون، خد بالك لما تيجي تقرأ –واحنا في شهر رمضان– أما تيجي تقرأ القصص القرآني كل قوم من الأقوام أُهلكوا؛ ماكانش المسلمين متوقعين هيهلكوا إزاي، لإن دايماً أوصاف الكفار في القرآن –وهيجي لنا إن شاء الله في الحلقة التالتة مع سورة ق– إن القرآن بيوصف أهل الباطل دايماً من التمكن الدنيوي، خد بالك مش بس تقدم، متمكنين مسيطرين دنيوياً، "أَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا" في سورة الروم:٩، هنا "فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ"، وصل من القدرة إن هو يسيطر، ويصل كمان إيه زي سورة الشعراء إنه بيعبث تماماً "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ" الشعراء:١٢٨.

الأقوام اللي كانوا بيهلكوا ماكانش عنده توقع، هيقول لك إزاي؟ قوم نوح، احنا نَهلك؟ يعدوا عليه ويتريقوا عليه، قاعد يبني سفينة احنا نغرق إزاي يعني؟ فهو ماعندهمش تصور أبداً إن هم ممكن يهلكوا.





فالمجد لهذا القرآن "ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا"، تقديم الشبهة في صورة تعجب دي لعبة إعلامية، عشان التعجب وفكرة إنك تسخر، التعجب والسخرية يعني إيه بتسيل كده وبتوصل للمشاهد من غير ما يشعر، فبالتالي هو بيتبنى، فبيخاف، يعني لما تخيل مثلاً إيه؟ كل برامج التوك شو بتتعجب؟ إيه ده؟ معقول إزاي؟ لا حول ولا قوة إلا بالله ما ينفعشي، فتلاقيك انت خايف تخالفهم، تقول آه فعلاً ده غلط، وانت مانتاش عارف إيه اللي خلاك تقول كده، لكن انت تخاف طالما حصل تعجب إعلامي من شيء، أو سخرية من شيء، تلاقيك تجد إن المشاهد يخاف يتبنى الرأي المتعجب منه أو المسخور منه، دايماً لما يُسخر من حاجة ويتعجب منها دي لعبة إعلامية لازم تكون يقظ. فهما بدأوا بصيغة تعجب وهنشوف كمان الصيغة اللي عملوها الإعلامية، "بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ"، خد بالك التقديم منذر قبل منهم، الخطاب الإعلامي بتاعهم، انتم مستعجبين من النذارة ولا إن هو بشر؟ ودايماً شبهات الكفار يضربوها على بعض ويحطوها كده، إنت دورك إنك تفكك الشبهة، ايوة يعني انتم متعجبين من الإنذار ولا إن هو بشر؟ انتم قدمتم الإنذار واضح إن ده اللي مضايقكم والدار الآخرة، سيبك من قضية البشرية دي لعبة انت بتلعبها، لأن أصلاً البشرية دي رحمةً بكم، إن القرآن مانزلش على ملك، لأن أصلاً انتم لو كان نزل على ملك، كنتوا قولتم مش كان نزل على واحد زينا، فانتم متعجبين من النذارة، لذلك الرد في السورة هنا ماكانش على البشرية، غير شبهات سورة الفرقان.

"بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ"، الجملة اللي هتتقال دي السورة كلها رد عليها، من أول "فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ"، القرآن لم يسمح بتجاوز هذه اللفظة، وشن هجوم قوي جداً في سورة ق على هذه اللفظة، يبقى يا جماعة احنا اللي عايز يعمل في الدعوة، لازم يبقى عنده أولويات، إيه الشبهات اللي ننتفض للرد عليها؟ إيه المعاني التي لا نسمح أن تغيب وتخفت في ديننا، معنى الدار الآخرة، لما حبوا يطعنوا في الدار الآخرة قدموها بصورة تعجب، الأول قالوا إيه؟ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ، هو إيه اللي شيءٌ عجيب؟ يعني كان يقول الأول الحاجة، لكن هو قدم التعجب، زي ما قلت بحيث إن المشاهد يقول آه فعلاً ده حاجة عجيبة قوي، وشوف الطريقة أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ايوه هو هيكمل؟ لا ماكملش، كأنه يقول لك إيه؟ من شدة تعجبي أنا مش قادر أقول، لا لا لا يعني هو كان أصل الكلام إن فيه محذوف أإذا متنا وكنا تراباً نبعث ونحاسب، هو مش عايز يقول حتى، مش قادر يقول قضية البعث ولا عايز يقولها نفرةً منها وحتى عايز يظهر للمستمع إن دي كلمة أصل لا تقال كلمة لا ينطقها عقل، شوف الطريقة الإعلامية إزاي بتبث في صدور الناس؟ وبعد ما قال كده ماكملش الجملة أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ، ده مستحيل، مستحيل أبداً إن ده يحصل، خلاص؟

يبدأ بقى الرد القرآني، طريقة بقى الرد القرآني:

–أول حاجة، إثبات قدرة الله، في النقطة اللي بيتكلموا فيها.

–تاني حاجة إثبات قدرة الله عموماً.

–تالت حاجة من قال مثل قولكم أهلكه الله.

–رابع حاجة –خد بالك ترتيب السياق القرآني في سورة ق– رابع حاجة انتشال هذا المتكلم، من لحظة الحياة إلى لحظة الموت، ثم التدرج في مراحل البعث إلى أن يلقى في جهنم، ثم عودة به مرةً أخرى إلى القوم اللي أهلكوا، ثم عودة إلى الكلام عن قدرة الله، تحس إنه ترتيب عكسي، نرجع لنفس الكلام، ثم إقرار الحقيقة التي أنكروها بطريقة في قمة التقرير، يعني في آخر حاجة "ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ".

يعني طريقة القرآن فعلاً لما قعدت أتأمل، تقرا السورة على بعضها، تحس إن القرآن أحاط بهم، بدأ بقدرة ربنا في النقطة دي "قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ"، قدرة ربنا "أَفَلَمْ يَنْظُرُوا" قدرة مطلقة، إهلاك السابقين، وبعد كده ينتشل بمفرده، ويتقال له خد بالك الشبهات اللي انت كنت بتقعد تقولها وساوس صدرك والريبة اللي كانت في صدرك، والجو الإعلامي ده ربنا يعلمه، "مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ"، احنا قلنا فيه هجمة إعلامية من الكفار، وفي مقابل لها، فتجد كلمة الكلام كتير في السورة "قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا" "مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ" "فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ"، يبقى





كان واضح إن فيه هجمة إعلامية من المشركين بتواجه برد قرآني قوي، معلش أنا هتكلم بسرعة عايزكم تعيشوا معي جو السورة، فتجد إن السورة بدأت كده، وطوفت قدرة ربنا خصوصًا، قدرة ربنا عمومًا، إهلاك السابقين، البعث والدار الآخرة، إهلاك السابقين، قدرة ربنا، الكلام عن البعث بس المرة دي بإقرار، يعني في الآخر ربنا بيقول لهم الأمر منتهي ده أنا بكلمكم عن حقيقة قرآنية كونية وهنقولها إن شاء الله إن ربنا أحيانا في التالت.

طيب، "قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ"، هم مستنكرين البعث عشان إيه؟ شبهتهم في البعث إيه؟ زي ما كان واحد حب يعمل حركة إعلامية برضه روشة كده في آخر سورة يس وخد حتة من العظام وفتفتها كده وقام قايل إيه؟ معقول احنا لما نبقى كده نبعث تاني؟ تحس إنه عمل شو إعلامي فالناس تلاقي العضم تفتت وطار فتقول اه فعلاً ده لا يمكن ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ، فلازم يُرَد عليه رد قوي، "قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ"، كل جزئية بتنقص من جسمك وبيأكلها الدود الله يعلمها.

القرآن بيكلمك عن أبعاد في علم الله لا تصل إلى ذهن بشر، يعني تخيل لما ربنا يكلمك عن إحاطة علمه فيقول لك: "وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا" الأنعام:٥٩، من الذي يأبه بالورقة التي سقطت أصلاً؟ يعني انت بتبقى ماشي كده مسافر على طريق زراعي وتبص على يمينك وشمالك مليارات الأوراق، من الذي يأبه بسقوط ورقة؟ الله يعلمه، من الذي يأبه الآن الآن في هذه اللحظات؟ مليارات المليارات المليارات من الجثث في الأرض ويأكل الدود منها ونقص من ده اتنين مللي، ومن ده خمسة مللي، ومن ده واحد سنتي، الله يعلم ذلك، وبصيغة قد "قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ"، وهتشوفوه وده مكتوب "وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ"، وخلينا نتكلم بصراحة، عايزك تعيش جو السورة كده، وخلينا نتكلم بصراحة، انتم مش مستبعدين القدرة، انتم مكذبين بالبعث، "بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ"، عشان نبقى واضحين، القرآن يحاصر النفس، "بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ"، المرج ده الاضطراب، والمرج يعني اختلاط الأمور عليه، ليه؟ لأن هو بينكر البعث، فعمال يدور على أي شبهة، مرة يقول الكلام ده سحر، لذلك من المعاني العجيبة قوي كنت بقرأ النهاردة في سورة هود "وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا –إيه– سِحْرٌ" هود:٧، إيه ده؟ هو بيقول لهم انتم مبعوثون، بيقولوا سحر؟! لما وجدوا تأثير الإيمان بالبعث بيقلب حياة الإنسان قالك ده بيسحرهم، يعني إن هم بيقولوا على الدين ده سحر اعتراف بتأثير القرآن في الناس أصلاً، فربنا بيقول لهم انتم مضطربين مفيش حجة واحدة ولا شبهة واحدة، فَهُمْ فِي أَمْرٍ ف حرف إحاطة، فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ.

لذلك سورة ق بتنزع هذه الريبة عنهم، فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ، طيب بالرغم إن هم كذابين وبالرغم إن هم في التراب، القرآن بيخاطب العقلاء منهم، "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ" خد بالك فَوْقَهُمْ، انت مش محتاج تسافر عشان تشوف قدرة ربنا، لا لا لا انت بس أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا"، خد بالك، الآيات هنا جمعت ما بين النفع والجمال، يعني الكون مش مصمم إنه يبقى نافع فقط، لإن كان ممكن يبقى إيه؟ شوية مكعبات هندسية ولونها أسود، وانت محتاج أكل، محتاج تاكل شوية بطاطس وحتة لحمة عشان تتغذى، لا، الكون مش بس كده، الكون مبني ومحكم ومزين لأن الله جميل يحب الجمال، فتجد إن الآيات هنا فيها بناء وفيها تزيين، "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا –وإحكام– وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ". أنا أُفَضِّل إن البداية في النقاش مع أي شخص مهما كان بعيد، البداية بالنظر في الكون، ويعني بفضل الله الواحد ناقش مع ملحدين كتير، البداية في إحكام الكون وإتقان الكون بداية مهمة، حتى لو أنكرها المخالف، فيه ناس تقول لك الكون عشوائي، مهما أنكر وخصوصًا لو دارس في الطب مهما أنكر تفاصيل الجسد والقلب والإتقان، وإن الدكتور اللي في أقصى الشرق هو بيتعامل بنفس الحاجات اللي الدكتور اللي في أقصى الغرب بيفتحوا في نفس المكان لما يحبوا يعملوا عملية القلب ليه؟ لأن الجسد متقن بنفس الإتقان، لو كان عشوائي طب على الأقل القلب مرة يطلع كده، لا فيه إتقان وإحكام وطبعاً لو قعدنا نتكلم في الخلق ده يعني لا نحصيها، نعم الله –سبحانه وتعالى– لا تحصى، "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"، يبقى الآيات هنا





بتتكلم شوف الخطاب، هو معاند إن انت بتتكلم على الإحكام والجمال، يبقى الخطاب الدعوي عن خلق الله –سبحانه وتعالى– لابد أن يتميز بالكلام عن الإحكام والجمال، يبقى سورة ق حتى الدكتور فريد أشار إلى المعنى ده يُنْتَزَع منها مناهج في الدعوة، ينتزع منها مناهج في الدعوة، "تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ" ولفظ الإنابة هيجي لنا تاني، "وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ"، والأفعال كلها منسوبة إلى الله –سبحانه وتعالى– قد علمنا، أنبتنا، أنزلنا، والله –سبحانه وتعالى– هو الذي يفعل ذلك، وهذه هي طريقة القرآن، ألا ننشغل بالأسباب، دور الداعية إنه ينزع غشاء الأسباب عن الناس، الناس لا يرون إلا السحاب ولا يرون إلا النظريات، ولا يرون إلا النبات، دور الداعية، إنه زي ما النبي –صلى الله عليه وسلم– قال يقول الله –سبحانه وتعالى–: "أَصْبَحَ مِن عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فأمَّا مَن قالَ: مُطِرْنَا بفَضْلِ اللَّهِ ورَحْمَتِهِ، فَذلكَ مُؤْمِنٌ بي وَكَافِرٌ بالكَوْكَبِ"[٢]، دور الداعية إن ينزع غشاء الأسباب عن الناس.

"وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ"، يعني برضه انتقاء المناسب للبيئة اللي انت بتكلمها، مين اللي وقف النخل ده كده؟ "وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ"، الجمال "لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ" ومرتب ومنظم، النفع والزينة "رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا" بعد الختام كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ، دايماً ودي اتكلمت فيها أظن في أول سورة النبأ، دايماً بيجي البعث مع التأمل في الكون، والمفسرين لهم طريقتين لماذا يذكر؟ يعني مثلاً فيه برضه البداية القوية "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ" النبأ١:٢، على القول إن هو البعث مش القرآن "الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ *كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" النبأ٣:٥ فجأة نقف نوقف كلام عن البعث شوية، "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا" النبأ:٦، يعني هنا برضه الكلام عن البعث وبعدين فجأة ثانية، "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ"، ليه الكلام بيكون عليه البعث؟ وفجأة نوقف ونروح نتدبر في الكون وبعدين نرجع للبعث، ليه؟ فالعلماء لهم مسلكين:

– المســـلك الأول بيقول وده الأشـــهر وده الأقرب التقاطاً، إن يقول الذي يقدر على ذلك، يقدر على ذلك. بدليل قال ربنا –ســـبحانه وتعالى–: كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ، الذي أخرج النبات ميت من ميت، بذرة من طين، وطلع منها كائن حي. طب ما ربنا قادر إنه يخرج الحي من الميت، يبقى ربنا –سبحانه وتعالى– هو الواحد الأحد فقط الذي يخرج الميت من الحي والحي من الميت، خلاص؟ ده المعنى الأشهر.

– المعنى التاني فيه بُعْد شوية بيقول إيه؟ التأمل في الكون –وده مهم في النقاش مع الملحدين– التأمل في الكون بيجعلك توقن أن هناك إحكاماً، وأن هناك إتقاناً زي كده ما بيسموه دليل الإحكام والإتقان والعناية، وإن اللي خلق النبتة دي متوافقة مع الحيوان ده متوافقة مع المعدة دي، وإن ده بياكل ده وفيه ترتيب، يعني مش بس كل حاجة لوحدها حلوة، عارف مش كل حاجة سليمة بس لوحدها، لا، ده كل حاجة كويسة، ومتوافقة. فالكون متناسق، يعني فيه إحكام وإتقان وعناية ورعاية وتناسق، يبقى إذاً فيه إله واحد، اللي عمل كل ده فبيقولوا إن إذاً الإحكام ده معقول، يعني عايزك تتأمل كده، اللي بينظر في جسم الإنسان، وفي الكون بيجد إحكام، وبعدين يبص في حياة الناس إيه ده؟ فيه فقير وغني، وفيه ظالم ومظلوم، وفيه افترا وظلم وقتل وتشريد وتعذيب وسرقة ونهب إيه ده يا جماعة؟ هي الدنيا دي عشوائية ولا محكمة؟ يبص للكون وجسم الإنسان يلاقي إحكام، يبص في الدنيا يلاقي ظلم وسرقة ومفيش كمال العدل مش ظاهر له مش فاهمه، فيُقال له إذًا معقول الذي أحكم هذا الكون يترك الناس عبثاً؟ لابد من إكمالٍ لهذه الحياة ليه؟ تظهر العدل ظاهراً للناس كلها، فبالتالي هذا الإحكام دليل على وجود يوم آخر لإكمال العدل والحساب فيه.

إذًا ده من أسباب الربط بينهم، ثم قال ربنا –سبحانه وتعالى– استحضر الخطاب ما تنساش السياق، من الأول النداء عليهم كأنهم بيقفوا وصرخة النداء ق، ثم المجد لهذا القرآن، بعد كده قولتهم الشنيعة اللي اتقالت في صيغة إعلامية فيها تعجب، وبعد كده هجوم عليهم؛ قدرة ربنا خصوصاً في البعث، قدرة ربنا عموماً في الكون، وبعد ذلك لو انتم عايزين تكذبوا، مصمم تكذب؟ عموماً "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ"، الرصة دي كده أنا ماشوفتهاش غير في سورة ق، زي ما

[٢] صحيح البخاري





قلت لك قَوْمُ تُبَّعٍ هتلاقيها جت في الدخان بس وفي ق، الرَّسّ جت في الفرقان وفي ق، اللي وراء بعضه ده فأكبر حشد للطغاة جه هنا ورا بعضه في السورة، "وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ" -فإيه اللي حصل- فَحَقَّ وَعِيدِ" الذي كانوا ينكرونه، "أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ" يعني هو اللي خلق السماوات والأرض زي ما هييجي في آخر السورة، أليس ذلك بقادر على أن يعيد الخلق مرةً أخرى؟ "أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ" لا لا ده هم مش منكرين القدرة، تاني هما في لبسٍ، هما في ريبة من خلقٍ جديد.

يبقى إذاً الشوط الأول اللي احنا اتكلمنا عنه النهاردة؛ مقدمة عن السورة، صياغة القولة الشنيعة اللي اتكلموا بها، الهجوم عليهم والإحاطة بهم عن طريق إثبات قدرة الله -سبحانه وتعالى- دليل حسي واضح قدامهم، انت بتحط البذرة في الأرض طلعت نبات حي مين اللي عمل ده؟ الله -سبحانه وتعالى-، وفي الآخر كأن بتقول له إيه؟ عايز تكذب؟ كَذِّب، ولكن سيصيبك ما أصاب مَنْ قبلك والله -سبحانه وتعالى- قادر على ذلك.

نكتفي بإذن الله -سبحانه وتعالى- في هذه الحلقة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.